



مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352

EISSN :6723-2600



إسهامات التيار الصوفي في الثورات الشعبية في الجنوب الجزائري

Contributions of the Sufi movement to the popular revolutions in southern Algeria

سيد أحمد بن نعماني

جامعة الجزائر 1/كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية وغاياتها

s.bennamani@univ-alger.dz

جيلالي عبيد

جامعة الجزائر 1/كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية وغاياتها

d.abid@univ-alger.dz

المرسل: جيلالي عبيد

النشر: 2024/01/05

القبول: 23/09/10

الارسال: 23/08/27

الملخص

لا يمكننا التحدث عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية دون أن نعرج على الدور الثوري للتيار الصوفي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، فوجب علينا أن نذكر ذلك الانخراط الروحي والتفاعل الجهادي الذي خلقتة الطرق الصوفية، بعد سقوط الجزائر العاصمة عشية الغزو الفرنسي لها، إذ ساهم التيار الصوفي في تأخير عملية احتلال الجزائر لمدة تقارب القرن من الزمن، والهدف من هذا البحث هو إبراز دور التيار الصوفي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وكذا إظهار البعد الديني لهذه الثورات، ومن أبرز النتائج المتوصل إليها هي أن موقف الطرق الصوفية ظل ثابتا ورافضا للاستعمار الفرنسي بكل أنواعه.

الكلمات الدالة: التيار الصوفي؛ المقاومة؛ الاحتلال؛ إسهامات؛ الطريقة.

Abstract

We cannot talk about the history of Algeria during the colonial era without mentioning the revolutionary role of the Sufi movement in resisting French colonialism. So we had to mention that spiritual engagement and jihadi interaction created by the Sufi orders, after the fall of Algiers on the eve of the French invasion of it. As the Sufi movement contributed to delaying the process of the occupation of Algeria for a period of nearly a century, and the aim of this research is to highlight the role of the Sufi movement in resisting French colonialism, As well as showing the religious dimension of these revolutions, and one of the most prominent results reached is that the position of the Sufi orders remained firm and rejected French colonialism in all its forms.

Keywords: *the Sufi movement; Resistance; Occupation ; Contributions ; percussive.*

مقدمة:

إن المتتبع لتاريخ الثورات الشعبية في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر يتأكد أنه كان للتيار الصوفي الدور الأكبر والبارز فيها، حيث شكّل ثلثا الطائفة المقاومة، إذ أنه بعد غزو فرنسا للجزائر في سنة 1830م، وانهزام السلطة الرسمية في البلاد، التي كان يرأسها الدّاي حسين، هبت الطرق الصوفية للمقاومة والجهاد، وجعلوها حرباً من أجل البقاء، وحرباً دينية بين الحق والباطل وبين الإسلام والنصرانية.

فكما قدم التيار الصوفي في الشمال الجزائري أروع الأمثلة في الجهاد، كان موقف التيار الصوفي في الجنوب الجزائري مشرفاً أيضاً، إذ لحق بركب الجهاد والحرب، ولم يتوانى أبداً في الدفاع و الذود عن هذا الوطن، وسنحاول ذكر أهم الإسهامات التي قامت بها الطرق الصوفية في الثورات الشعبية في الجزائر، متناولين ثلاث طرق صوفية على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر، وهي الطريقة القادرية السنوسية، والطريقة الشيعية.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يذكر ويتناول حقبة زمنية من تاريخ الجزائر، والمتمثلة في الحقبة الاستعمارية، وما انجرّ عنها من نتائج وخيمة على الشعب الجزائري المسلم، وإبراز الدور الجهادي للتيار الصوفي في مقاومة الاحتلال الفرنسي، في كل الجزائر وليس في جنوبها فقط، ومن أجل المعالجة الدقيقة لهذا الموضوع اعتمدنا الإشكالية القائلة الدور الثوري للتيار الصوفي في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟ والهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على إسهامات التيار الصوفي في الثورات الشعبية في الجزائر، وإثبات البعد الديني للثورة الجزائرية.

وللإجابة على هذا الطرح اعتمدنا ثلاث محاور تمثلت في:

مقدمة للموضوع

1/ نشأة التصوف في الجزائر.

2/ موقف التيار الصوفي من سياسة التنصير الفرنسية.

3/ إسهامات التيار الصوفي في الثورات الشعبية في الجنوب الجزائري.

خاتمة.

1. نشأة التصوف في الجزائر:

التصوف مصطلح تضاربت فيه الأراء، واختلفت تعريفاته، وقد تجاوزت الأقوال فيه مائة قول وتعريف، منها أن التصوف نسبة إلى لبس الصوف وما خشن من الملابس ومنها ما قيل أنه نسبة إلى أهل الصفة في مسجد رسول الله ﷺ، ومنها ما قيل أنه نسبة إلى الصف الأول في الصلاة، وهو الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، إلى غيرها من الأقوال الكثيرة التي لا يسعنا المجال لذكرها، ولعل التعريف الجامع له هو ما ذكره الشيخ المحاسبي في رسالته بقوله: "هو مجاهدة للنفوس، ومكابدة نزواتها، ومحاسبة دقيقة لها على أعمالها وتركها، وحفظا للقلوب عن طوارق الغفلات، وهواجس الخطرات، و انقطاع عما يعوق السالك في سيره إلى الله، و زهادة في كل ما يلبي عن ذكر الله ويعلق القلوب بسواه".¹

أما عن نشأة التصوف في الجزائر، فقد ظهرت لأول مرة كظاهرة اجتماعية في أواخر القرن الخامس هجري، وبداية القرن السادس، وقد بدأت بتوافد كتب التصوف إلى بلاد الغرب الإسلامي، ومن أوائل الكتب التي ارتحلت إلى المغرب الإسلامي نجد كتاب "رعاية حقوق الله" للمحاسبي، وهذا الكتاب جلبه المتصرف المغربي عبد العزيز التونسي سنة 486 هـ، ومن الكتب التي ذاع صيتها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ويعتبر أبا عمران الفاسي هو أول من أدخل تعاليم الجنيد السالك إلى المغرب.²

فبعد أن كان التصوف ممارسة دينية، أصبح ظاهرة اجتماعية، وبنيت له زوايا، واتخذت له رباطات، وحسبت له أوقاف، وتفرعت الزوايا من بعضها البعض، وأصبح لكل زاوية أوراد وأذكار خاصة بها، وكثر أتباع ومريدي الطرق الصوفية في كل العالم الإسلامي شرقا وغربا.

2. إسهامات التيار الصوفي في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري :

كان التيار الصوفي هو ركيزة الجهاد و المقاومة بكل أنواعها ضد الاحتلال الفرنسي، وأجمع المؤرخون على أن السبب الرئيسي والدافع للتيار الصوفي إلى الجهاد والمقاومة هو سبب ديني محض، وأن قضية الجهاد قضية إسلامية محضة وخالصة، واعتبروها قضية حرب إسلامية ضد حملات نصرانية صليبية، مثلها مثل الحملات التي سبقتها على المشرق والمغرب الإسلاميين، خاصة بعد الحملات التبشيرية والتنصيرية التي قامت بها السلطات الفرنسية بمعية رهبانها، إذ لا يمكننا التحدث عن المقاومة العسكرية المسلحة الجزائرية للاستعمار الفرنسي دون التطرق إلى مسألة أو قضية التنصير والتبشير، التي شنتها السلطات الفرنسية على الجزائر وموقف الشعب منها عامة والزوايا والمؤسسات الدينية خاصة، وعليه وجب علينا التطرق إلى سياسة التنصير الفرنسية قبل التطرق إلى المقاومة الجزائرية المسلحة.

1.2. سياسة التنصير الفرنسي في الجزائر وموقف التيار الصوفي منها :

سياسة التنصير: يقصد بسياسة التنصير الدعوة إلى الدين النصراني ومحاولة نشر العقيدة والشريعة النصرانية بين الأفراد والجماعات، سواء في الجزائر أو غيرها من المناطق بصفة عامة، وكلمة التنصير كما هو ظاهر في اشتقاقها اللغوي تعد مصدرا للفعل نصر، وهي مشتقة من كلمة النصرانية³.

وكلمة النصرانية تدل في مفهومها العام على الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام، أو بالأحرى التي نسبت إليه زورا، لأن جميع الأنبياء جاؤوا برسالة واحدة ألا وهي رسالة التوحيد.

بينما يذهب عبد الرزاق عبد الحميد الأرز إلى أن سياسة التنصير كمصطلح سياسي، يقصد به القضاء على الإسلام والمسلمين معا، من خلال التشكيك في الدين، وتحويل المسلمين إلى ملحدين و لا دينيين، إذ يقول: "التنصير هو تشكيك المسلمين في تاريخهم وزعزعة عقائدهم، وبعبارة أخرى تحويلهم إلى نصارى وإن عجز المنصرون عن ذلك يحولونهم إلى ملحدين أو إلى لا دينيين"⁴.

والمفهوم السياسي يدل غالبا على تخطيط مصلي محض، وذا أهداف مسطرة من قبل رجال السياسة خاصة في المجال الديني، وفي هذا الجانب يذكر الشيخ لعرج خطاب لأحد الداعيين إلى سياسة التنصير، في مؤتمر التنصير في جبل الزيتون سنة 1927م، ومما جاء فيه: "أتظنون أن غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى، إن كنتم تظنون ذلك فقد جهلتم التنصير ومراميه،... لكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون مضطربا في دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بها"⁵.

وقد كان الهدف الأول من سياسة الاستعمار الفرنسية بل من السياسة الاستعمارية الأوروبية كلها تجاه الدول الإسلامية، هو القضاء على الدين الإسلامي بالدرجة الأولى، ثم الاستحواذ على ثروات البلدان بدرجة ثانية، وخاصة في الجزائر العربية الإسلامية، إذ أنها كانت تشكل مركز القوة في الغرب الإسلامي، وتعتبر بوابة إفريقيا، وتشكل الحصن الذي يحمي الإسلام في القارة الإفريقية كلها، والمتمعن في النظر إلى خريطة احتلال فرنسا لشمال إفريقيا، يجد أنها بسقوط الجزائر توالى الدول الأخرى في السقوط، في ظرف زمني وجيز، لذلك نجد أن ضربات معاول النصارى قد تتالت على الجزائر منذ عصور متقدمة، من أجل استرجاعها من أيدي الإسلام، إلا أنها لم تتمكن من تحقيق أطماعها حتى بسقوط الجزائر، وبقيائها تحت وطأة الاستعمار لقرن ونيف من الزمن.

وفي محاولة لإنجاح هذه السياسة التنصيرية، قامت السلطات الفرنسية بتضييق الخناق على كل ما هو إسلامي، مع القيام بعمليات تخريبية وهدم للمنشآت الدينية، وإصدار قوانين ومراسيم تقضي ضد الإسلام، ومن أبرز القرارات "قرار كريميو" القاضي بتجنيس اليهود الجنسية الفرنسية، مع حفاظهم على دينهم، بينما الجزائري

يطالبه هذا القانون بالتخلي على دينه وشريعته الإسلامية، وأيضا إصدار القانون الخاص بالقضاء الإسلامي، و التضييق على الحجاج الجزائريين ومنعهم من أداء فريضة الحج، إذ اعتبرت السلطات الفرنسية أن الحجاج المسلمين الجزائريين هم المصدر الرئيسي للأمراض والأوبئة والطاعون والجذري.⁶

كما عمدت فرنسا إلى القضاء على كل ماله علاقة بالإسلام من الأجهزة الدينية، من الأوقاف والمساجد والزوايا، إذ يقول أحد الكتاب الفرنسيين: "إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتنافس مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر".⁷

وقد سنت فرنسا عدة قوانين لإنجاح عملية القضاء على الأوقاف الإسلامية في الجزائر من أهمها:

-مرسوم 08 سبتمبر 1830 م، وهو مرسوم يحدد ملكية الدولة، وإعطائها الحق في الاستيلاء على أملاك الأتراك الموجودة في الجزائر.⁸

-مرسوم 07 ديسمبر 1830 م، هذا المرسوم أصدره الجنرال كلوزيل، يقضي من خلاله بانتقال الأحباس والأوقاف إلى المعمرين.⁹

-مرسوم 06 أكتوبر 1843 م، وهو مرسوم يتضمن ضم أملاك الوقف التابعة للمساجد والمرابطين والزوايا والمؤسسات الدينية والأضرحة والمقابر للأملاك الفرنسية، والحرية في حق التصرف فيها واستعمالها في كل الأوجه التي تراها السلطة الفرنسية ولاسيما العسكرية منها.¹⁰

-مرسوم 30 أكتوبر 1858 م، مرسوم يقضي بإدخال الأوقاف في مجال التبادل التجاري، والسماح للسلطة الفرنسية بالانتفاع بها.

أما فيما يخص المساجد فقد قامت السلطة الفرنسية بتدميرها، وتغييرها وجعلها ثكنات عسكرية أو إسطبلات للحيونات، حقدًا على الدين الإسلامي.¹¹ ففي الجزائر العاصمة وحدها أغلق حوالي 21 مسجداً، بين المساجد الكبيرة والصغيرة، ولعل من أكبرها مسجد "كتشاوة" الذي قتل فيه أربعة آلاف جزائري كانوا معتصمين به، حيث قام الجنرال "دي روفيقو" بتحويله إلى كنيسة في 14 ديسمبر 1830م، كما قام بتدمير 12 زاوية في العاصمة وحدها، وسارعت السلطة الفرنسية إلى فرض الرقابة على شيوخ الزوايا وحتى المريدن، وتجهيز تقرير ووضع قائمة اسمية للأعيان والشيوخ الذين قد يشكلون خطراً فيما بعد أو يقومون بثورة وانتفاضة ضد السلطة الفرنسية.¹²

ومن جملة التضييقات التي فرضتها السلطة الاستعمارية على الجزائريين أيضاً، القرار الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسي "الوزير شوطان"، القاضي بمنع التعليم العربي، واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا يمكن تعليمها إلا بترخيص.

وقد شكلت السلطة الفرنسية لجنة سميت باللجنة العلمية، أو "لجنة اكتشاف الجزائر العلمي" تتكون من 24 عضواً، تم تعيينهم بإصدار قرارات وزارية في 20 نوفمبر 1839م، وتم اختيار أعضاء هذه اللجنة من عدة وزارات، أهمها الوزارة الحربية، وزارة التعليم، أكاديمية الآداب والفنون (5 منهم) وترأس هذه اللجنة العقيد "يوري دي سان فانسان"، وكان الهدف من هذه اللجنة دراسة المجتمع الجزائري، ومعرفة الحياة الداخلية للسكان، ومعرفة كل ما يمكن الحصول عليه عن طبيعة الفرد الجزائري، وثقافته وتراثه، كما عملت أيضاً على معرفة تضاريس الجزائر وجغرافيتها الطبيعية.¹³

و لعل من أبرز الدلائل التي تفضح السلطة الفرنسية وهدفها من غزو الجزائر، هي الرسالة التي بعثها "الكاردينال لافيغري" إلى رئيس الحكومة الفرنسية في الجزائر، يقول فيها: "علينا أن نخلص الشعب الجزائري من قرآنه، وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لننشأهم على مبادئ غير التي نشأ عليها آبائهم وأجدادهم، فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيداً عن العالم المتحضر".

وقد بينت هذه الرسالة محاولة فرنسا تنصير المجتمع الجزائري وإبعاده عن قرآنه وهويته وعقيدته الإسلامية، أو القضاء عليه في حالة فشل عملية التنصير.

2.2. إسهامات التيار الصوفي في مقاومة التنصير:

لقد كان شيوخ الزوايا في الجزائر على دراية ووعي كبير مما يحاك ضدهم، وضد هويتهم الإسلامية، من مآمرات ومحاولات لهدم هذا الركن، والظاهر مما جاء في صحيفة البلاغة التابعة للزاوية العلوية، أن الزوايا كانت واقفة في وجه المستعمر بالمرصاد، من أجل الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية الإسلامية، ومما جاء في هذه الصحيفة: "لسنا ندفع الباطل بالباطل ونرد السيئة بمثلاً، ولكننا نقذف بحقنا على باطلهم فيدمغه فإذا هو زاهق، ولكن الويل مما تكذبون".¹⁴

ويظهر من خلال هذه الصحيفة الجهد الذي كانت تقوم به الطرق الصوفية في توعية الشعب، وإبعاده عن سياسة المستعمر، وإخراجهم من ظلمات الجهل وخطأ الوقوع في الردة، وترك الدين الإسلامي والتنصر من أجل أغراض دنيوية وأطماع نفسية، أو خوفاً ورهبة من القوات الاستعمارية.

وقد اهتمت الطبقة الفرنسية المثقفة خاصة العسكريين منهم، بدراسة ظاهرة التصوف والطريقة في الجزائر، وعكفوا على دراسة أحوالها لأعوام وسنين طوال، ليفضي هذا الاعتكاف إلى إنتاج دراسات مهمة في مجال التصوف والطريقة في الجزائر، ولعل أهم هذه الدراسات كتاب "بلاد القبائل" الذي ألفه كلاً من "هانوتو ولوت هارنو"، وكتاب "مرابطون وإخوان" الذي ألفه لويس رين تطرق فيه إلى الطريقة الرحمانية، وفصل فيها تفصيلاً كبيراً، خاصة في بلاد القبائل، كما يعتبر هذا الكتاب تقريراً مفصلاً عن الإخوان والمريدين التابعين للطريقة الرحمانية في كل الجزائر.¹⁵

ورغم كل هذه المحاولات والتقارير المقدمة من طرف الضباط الفرنسيين، أو المثقفين منهم، لم تتمكن السلطة الفرنسية من التغلغل في عمق الطرق الصوفية والزوايا، بل وتمكنت الزوايا من المحافظة على نقاء وسطها، من المندسين بفعل التسلسل الهرمي للزاوية، ونباهة وفطنة شيوخها وما لهم من ولاء ووفاء شعبي، ومالهم من سلطة روحية في الوسط العامي.¹⁶

وبصمود الزوايا أمام محاولة الاختراق، استطاعت أن تحافظ على الهوية الإسلامية والشخصية الوطنية الجزائرية، رغم أن مقاومتها للاستعمار الفرنسي كانت خافتة في بعض المراحل، خاصة بعد عام 1880م، إلا أنها لم تنطفئ نهائياً، فبعد انتهاء معظم المقاومات المسلحة، عمدت الزوايا إلى نوع آخر من المقاومة، ألا وهي المقاومة الثقافية والدينية، فقد كانت الزوايا بمثابة الصخرة الصلبة التي حطمت معاول التنصير الفرنسية، و أفشلت آمالها في ذلك، وكانت تمثل مراكز التعليم والثقافة التي ساهمت في الحفاظ على التعليم العربي، وتعليم القرآن الكريم وإحياء سنة النبي ﷺ، وساهمت في تثبيت العقيدة الإسلامية وحمايتها من حملات المبشرين.

وبالرغم من تعرض معظم الزوايا العلمية للهدم والتخريب، إلا أنها لم تتخلى عن مواقفها الراضية للاستعمار الفرنسي، وثقافته ومخططاتها السياسية وكل ما يمتّ له بصلة، وقاومت كل ما هو أجنبي استعماري يخالف الدين الإسلامي والعادات الجزائرية العربية، سواء في اللباس أو الكلام، إذ منعت الزوايا مريديها من التحدث باللغة الفرنسية، كما منعتهم من ارتداء اللباس الأوروبي، وأجبرتهم على ارتداء الزي الجزائري التقليدي، المتمثل في البرنوس والعمامة أو "الشاشية" كما يسميها الأهالي الجزائريين بلغتهم المحلية

كما مثلت الزوايا دور المحاكم الإسلامية، خاصة بعد قانون 1841م، الذي ينص على التنظيم القضائي في الجزائر، وتقييد صلاحيات القضاة الجزائريين المسلمين، فبعد هذا القرار كان لابد على الزوايا أن تخلف النظام الإسلامي، المحاصر من طرف السلطة الفرنسية، فعملت على البث بين الناس في قضايا المنازعات، إذ كان شيوخ الزوايا هم القضاة غالباً، ويقومون بعقد مجالس القضاء في زواياهم، أو في مكان عام في المنطقة العمرانية، من أجل الصلح بين الناس وعقد القران، والحكم في المنازعات التي كانت بسبب ملكية الأرض حتى لا يلجأ المتخاصمون إلى القضاء الفرنسي، والذي يفرض بدوره غرامات وضرائب عليهم، و يسلب أموالهم وأموالهم بالباطل، ونادراً ما كان يفشل الشيوخ في الإصلاح بين الناس، أو الحكم بينهم لما لهم من سلطة روحية عليهم، وتقدير وثقة عندهم.¹⁷

وقد تعددت القضايا التي كان الشيوخ يعالجونها، من خصومات ونزاعات حول الأملاك، قضايا الزواج الطلاق، وتقسيم الميراث، ومعالجة بعض القضايا الكبيرة مثل القتل، والتي تكون غالباً قتلاً خطأ، وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي لوراف ليون: "ومن الجدير بالذكر أن التأثير الروحي لقائد هذا المركز الديني كان له تأثيرات مدنية، حيث توصل إلى جعل أولاد نايل يرجعون إليه في حل خلافاتهم حتى غير الدينية منها".¹⁸

ومن الجدير بالذكر، أن كل زاوية كانت تضم 1300 أو 1400 طالب في مختلف المستويات، بين الكبار والصغار، و كانوا يدرسون علوم القرآن وعلوم الحديث بكل فروعهما، ويتلقون محاضرات في الأدب العربي والبلاغة

، ويسهرون على حفظ الدواوين الشعرية، وقصائد المديح الديني، كما يتلقون أيضا محاضرات في الحساب والرياضيات.

وكانت الزاوية تهتم بكل نفقات الطلاب ومعاشهم، من مأكل ومشرب وحتى اللباس ومصارييف النقل في بعض الأحيان، وكانت الأوقاف هي المصدر الأول في تمويل الزوايا، وبعض التبرعات الشعبية البسيطة وما تنتجه الزاوية، خاصة في المجال الفلاحي، إذ كانت الزوايا تهتم بزراعة أراضيها الوقفية بمختلف أصناف المزروعات والأشجار، وذلك قبل صدور قرارات ومراسيم تجعل الأوقاف أملاك فرنسية، وقرارات أخرى تقوم بمصادرة أملاك الأغنياء المساهمين في تمويل الزوايا، بل أملاك كل الشعب الجزائري، وليس الأغنياء منهم فقط، ومزال نظام التبرعات هذا قائما إلى يوم الناس هذا، إذ تعتمد الزوايا في تسيير شؤونها المادية على التبرعات المقدمة من طرف أصحاب الرفه والأغنياء.

إلا أن هذه الأعداد من المريدين تناقصت باستمرار، بعدما تعرضت له الطرق الصوفية وشيوخها من تضيق، وفرض رقابة عليهم، وحجز ممتلكاتها ومصادرة أراضيها، فتناقص عدد المريدين في بعض الأحيان حتى بلغ سدس أو ثمن العدد الأول أو أقل من ذلك بكثير.¹⁹

3.2. إسهامات التيار الصوفي في الثورات الشعبية في الجنوب الجزائري :

كما أسلفنا الذكر أن الدين الإسلامي هو المحرك الأساسي للثورة في الجزائر، وبالأخص الثورات الشعبية، التي كان أساسها وقوامها المريدين من الطرق الصوفية، وتكون غالبا بقيادة شيخ الزاوية نفسه، وبطبيعة الحال لم يتوانى الجنوب الجزائري ولا زواياه في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وتلبية نداء الجهاد، بل لبث الدعوة والتحقت بركب الثورة والجهاد والمقاومة، مثلها مثل زوايا الشمال الجزائري، وتصدر شيوخ الزوايا قيادة الجيوش وحشد الناس لهذه الغاية الكبرى والسامية، ومن أبرز الطرق الصوفية التي حاربت الاستعمار الفرنسي نجد الطريقة القادرية، الطريقة السنوسية، والطريقة الشيعية، وسنحاول التطرق إلى أهم الإسهامات التي قامت بها هذه الطرق على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

1.3.2. الطريقة السنوسية

هي طريقة أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي في منطقة مستغانم²⁰، بالغرب الجزائري في منتصف القرن 19، وكانت بدايتها كجماعة دينية²¹، أو كدعوة إصلاحية، ثم سرعان ما تطورت لتصبح طريقة صوفية، لها أركانها وأورادها، وزواياها ومريديها.

وبعد تطفن السلطة الفرنسية لخطورة الشيخ محمد السنوسي وخطورة زاويته، خاصة بعد معارضته لشيوخ العرب في فتواهم القائلة أن الاستعمار الفرنسي قضاء وقدر، على الشعب الجزائري تقبله والدعاء لله برفعه عنهم،

حيث كان موقف الشيخ السنوسي رافضا لهذه الفتوى، وهذه الفكرة برمتها، وأصدر فتوى وجوب محاربة النصارى حتى النصر أو الاستشهاد دون ذلك.²²

ومن أجل فتواه هذه قامت السلطات الفرنسية بمطاردته، فاتجه نحو الحجاز وأسس زاوية بني قبيس سنة 1837م، وكانت زاوية قبيس بمثابة قنصلية للجزائريين، إذ وحدت كلمتهم وجمعت شملهم، استعدادا لمحاربة الاستعمار الفرنسي في بلادهم الأم، وقد التقى الشيخ السنوسي بالشيخ محمد بن عبد الله صاحب ورقلة في الحجاز، وقاما بتوحيد جهودهما الجهادية معا.²³

ورغم مكوث الشيخ السنوسي بالحجاز، وعدم تمكنه من القدوم إلى الجزائر لقيادة أتباعه في الثورة، إلا أنه كان مطلعاً على كل المستجدات الحاصلة في الجزائر، وكان مسيراً لزاويته، وعين خلفاء له يحملون راية الجهاد، ومن أبرزهم الشيخ محمد بن الشفيع، و الشيخ عمر الفضيل والشيخ أبو خريس الكزة، وأمرهم بمساعدة الشيخ محمد بن عبد الله في الجهاد ونصرته وإمداده بالمال، والسلاح والمجاهدين وكل ما يتطلبه الجهاد²⁴، وبعد بداية حرب الشريف محمد بن عبد الله، توجه الشيخ السنوسي إلى طرابلس، ليكون قريباً من المجاهدين وأخذ يرسل شيوخ القبائل لنصرة الشريف محمد بن عبد الله، ومن الأوائل الذين راسلهم زعيم المخادمة الشيخ عبد الله بن خالد وحثه على نصرة الثورة والجهاد، والالتحاق بالشريف محمد، ويزكيه في رسالة بعثها إليه مما جاء فيها: "هو رجل تقي يخشى الله، رجل عظيم في التل، اعترفت به أهم القبائل في الغرب على أنه قائدهم"، وقد استجاب له الشيخ عبد الله بن خالد والتحق بالثورة لمؤازرة إخوانه المجاهدين.²⁵

وقد كان موقف الشيخ السنوسي واضحاً تجاه الاستعمار الفرنسي النصرائي الأراضي الجزائرية منذ البداية، حيث تصدى له بكل ما أمكنه من قوة ووسائل، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي دوفريه: "الطريقة السنوسية خطر عام، خطر على أوروبا وخطر على الدولة العثمانية وخطر على شمال إفريقيا".²⁶

وهذا لما أبدته الطريقة السنوسية من مقاومة ورفض للمستعمر، ومن خلال هذا التقرير حاولت السلطة الفرنسية تأليب الدولة العثمانية ومنطقة شمال إفريقيا على الشيخ السنوسي وطريقته، وحصارها ثم القضاء عليها، خاصة بعد أن أصبح مطاردا خارج الجزائر، مما جعله لا يأمن الوضع في الحجاز و يعود إلى طرابلس.

وفي رسالة بعث بها أحد تلاميذ الشيخ السنوسي من الجزائر إلى منطقة غدامس الليبية، نقلا عن الشريف محمد بن عبد الله جاء فيها: "أما أنا عبد الله حين قدمت بلاد ورقلة فتح الله علينا بها، وصارت محمية بعد أن كانت في يد الرومي،... ودخل كلهم في طاعة الله ورسوله وطاعتنا، والمجاهدين كل يوم في ازدياد"²⁷، وقد كان أتباع الطريقة السنوسية يحاربون تحت راية الشريف محمد بن عبد الله، ويطلعون شيخ طريقتهم السنوسي على كل المستجدات.

وقد شاركوا مع الشريف محمد في تحرير مدينة ورقلة، وشاركوه بعد ذلك في كل معاركه، خاصة في شمال ورقلة ومنطقة الأغواط ومناطق ولاد نايل كلها، وجنوبا حتى منطقة الوادي.

كما ساهمت الطريقة السنوسية في مقاومة الشيخ بوعمامة وأتباعه من الطريقة الطيبية، في منطقة الجنوب الغربي الجزائري في الفترة الممتدة من 1880 م إلى 1908 م، إذ كانت الطريقة السنوسية من أكبر الطرق التي ساعدت الشيخ بوعمامة في ثورته ضد الاستعمار.

ومن المساهمات الكبيرة التي قدمتها الطريقة السنوسية أيضا ، مشاركتها مع الطوارق في المقاومة في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري ، إذ شاركوا في معركة جانت ، التي شارك في قيادتها الشيخ عبد السلام التهوني والشيخ سي العابد السنوسي، إذ حاصروا منطقة جانت مدة 18 يوم، وتم تحريرها من قبضة الجيش الفرنسي في الأخير، وتم أسر قائد الحامية الفرنسية "لابيير" ومعه حوالي 440 فرنسي²⁸ ، كما شارك أيضا أتباع الطريقة السنوسية في معارك منطقة غات في الأراضي الليبية ، وأيضا شاركوا في معركة إسبين في طرابلس.²⁹

2.3.2. الطريقة القادرية :

الطريقة القادرية من الطرق الصوفية المشرقية أو الشرقية، مثلها مثل معظم الطرق الصوفية، وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية نشأة، وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الفيلاني أو الكيلاني على اختلاف ألقابه³⁰ ، وكان موطن نشأتها في العراق ثم نقلت إلى المغرب الإسلامي، ولعل أول من نقلها إلى الغرب الإسلامي هو الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن، الذي تتلمذ على يد شيخ الطريقة عبد القادر الجيلاني، ودرس عنده في مكة المكرمة، ثم عاد بتعاليمها إلى المغرب الأوسط " الجزائر حاليا" واستقر في مدينة بجاية.³¹

ثم انتشرت الطريقة في المغرب العربي كاملا، ومن أبرز تلاميذ الشيخ أبو مدين الغوث الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي المعسكري، جد الأمير عبد القادر الذي أصبح مقدما للطريقة القادرية، ثم ورثها لابنه محي الدين والد الأمير عبد القادر، ثم نقلت إلى الأمير عبد القادر الجزائري، الذي حمل لواء الجهاد وقاد أتباعه من الطريقة القادرية وكل من التحق بهم من الشرفاء والأحرار في هذا الوطن، لأكثر من خمسة عشر سنة من الجهاد، و من التلاميذ أيضا الشيخ محي الدين بن عربي، والشيخ عبد السلام بن مشيش.

بعد المقاومة الطويلة التي أبداها الأمير عبد القادر الجزائري، و رغم استسلامه في الأخير بعد السياسة التي انتهجتها السلطة الفرنسية ، والمتمثلة في الإبادة الجماعية لكل منطقة تساهم في مقاومة الأمير عبد القادر، إلا أن أتباع الطريقة القادرية لم ينكثوا عهد الجهاد الذي قطعوه لله ثم الوطن، بل شاركوا تقريبا في كل الانتفاضات التي ستشهدتها الجزائر فيما بعد لعقود من الزمن، ومن أهم المواقع التي شهدتها أتباع الطريقة القادرية، مقاومة الزعاطشة في منطقة الزيبان إلى جانب الشيخ بوزيان سنة 1848 م، فبعد الحصار الذي شهدته منطقة الزيبان، راسل الشيخ بوزيان شيوخ القبائل القريبة منه، من أجل فك الحصار عنه، ومساعدته في هذه الأزمة التي أمت به، فأجابه إلى ذلك خليفة الأمير عبد القادر ومقدم القادريين الشيخ محمد الصغير بن أحمد بلحاج، الذي كان متواجدا في منطقة نفطة بتونس الشقيقة، بعد أن غادر الجزائر إثر انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر.³²

إلا أنه بعد أن علم بانطلاق المقاومة من جديد، عاد إلى مساندة الشيخ بوزيان، وأخذ يرأسل شيوخ القبائل وكبارها خاصة مريدي الطريقة القادرية منهم، و مريدي الطريقة الشاذلية، كونها تفرعت من الطريقة القادرية، وسرعان ما تكون جيش من هؤلاء الأتباع، خاصة من منطقة بوسعادة وولاد نايل ومختلف القبائل الصحراوية، وبعد أن رأى الجنرال "هيريون" هذا المدد الكبير، طالب هو الآخر بالدعم من السلطة الفرنسية، وكان له ذلك فأصبح متفوق على جيش الشيخ بوزيان عدة وعتادا، بالأخص في سلاح المدفعية الذي كان دائما يقلب موازين القوة لصالح جيش الاستعمار، ولطالما قدم لها النصر³³، وبعد هذه التجهيزات اقتحم الجيش الفرنسي واحة الزعاطشة، وتمكن من الاستيلاء عليها، والقضاء على أغلب من كان فيها، وإن لم نقل كلهم، وعلى رأسهم الشيخ بوزيان وأولاده، الذين قام الجيش الفرنسي بقطع رؤوسهم وتعليقهم على مداخل المدينة، كما نصبوا أيضا المدافع على مشارف المدينة وقاموا بقصفها وتخريبها تماما.

كما كان بن ناصر بن شهرة من خريجي مدرسة الأمير عبد القادر الجزائري، وبعد استسلام الأمير عبد القادر، تم سجن ابن شهرة في سجن بوغار في منطقة المدية، إلا أنه تمكن من الفرار من سجنه، و أعاد تنظيم صفوف جيشه أو بالأحرى ما بقي منه، وذلك لما له من تأثير على أتباعه ومحبة في وسط جمهوره، ثم التحق بالشريف محمد بن عبد الله لنصرته، وإكمال طريق الجهاد، وأول ما قام به الشريف بن شهرة هو الإستيلاء على قصر الحيران في جويلية سنة 1852م، وجعله قاعدة له ومنطلقا لجيشه في المقاومة.

3.3.2. الطريقة الشيعية :

تنسب الطريقة الشيعية إلى الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة "1544-1616م" الملقب بسيدي الشيخ، وأصلها يرجع إلى الطريقة الشاذلية المتفرعة من الطريقة القادرية³⁴.

ثم بعد وفاة مؤسس الطريقة حمل المنتسبون إليها لقب "ولاد سيدي الشيخ"، وقد شارك أولاد سيدي الشيخ في مقاومة الاستعمار الفرنسي منذ البداية، فأولا انضموا إلى الأمير عبد القادر، إذ قام الشيخ سي حمزة شيخ منطقة الأغواط بالالتحاق بالأمير عبد القادر، على رأس جيش من ولاد سيدي الشيخ، وسانده في المقاومة، ومن أبرز قادة ولاد سيدي الشيخ محمد بن العربي المعروف بالشيخ بوعمامة، والذي كان يضاهي في حنكته وخبرته العسكرية الأمير عبد القادر نفسه، بل وحتى لقبته الصحافة البريطانية بالأمير عبد القادر الثاني فقد كتبت عنه مقال في جريدة التايمز في لندن، وأشادت بمقاومته ضد الاستعمار، كما كتبت عنه الصحافة المصرية مقالا في جريدة البرهان الصادرة في مدينة الاسكندرية.

قام الشيخ بوعمامة بجمع مريديه على كلمة واحدة وقرر الجهاد، وإحياء المقاومة من جديد بعد انتهاء مقاومة الرحمانيين والعائلة المقرانية، فقرر الشيخ بوعمامة إعلان الجهاد في 27 أفريل 1891م في منطقة عين الصفراء، وقد حققت مقاومته بعض الانتصارات، وساهم إلى حد كبير من تأخير توغل الاستعمار الفرنسي جنوبا نحو الصحراء، إلا أن مقاومته فشلت في الأخير دون تحقيق الغاية المنشودة منها، مثلها مثل سائر المقاومات

والانتفاضات التي سبقتها أو تبعتها على حد سواء، إلى غاية ثورة أول نوفمبر الخالدة، وانتهت مقاومة الشيخ بوعمامة بعد تسع سنوات من بدايتها، وقد تم قصف ضريح سيدي الشيخ، وتدمير زاويته وتم نفي الشيخ بوعمامة إلى المغرب الأقصى، إلى أن توفي في مدينة وجدة سنة 1901م، ودفن في وهران، وبعد الشيخ بوعمامة قاد مريدي الطريقة الشيخية الشيخ سليمان بن حمزة وأعلن الجهاد ضد الاستعمار، وأظهر مقاومة من أشرس المقاومات، خاصة بعد أن ناصرته القبائل الكبرى في الجنوب، مثل قبائل أولاد زياد بشقيها الشرقي والغربي، وقبائل الشعانبة، وبعض القبائل من منطقة القصر الأبيض "البيض حاليا"، ومن أشهر المعارك التي انتصر فيها الشيخ سليمان بن حمزة معركة الشلالة و معركة أم الدبداب، و معركة عوينة التي جرت في 18 أفريل 1864م في البيض، والتي كانت آخر معركة يقودها إذ أصيب في هذه المعركة ومات بعدها بمدة قصيرة متأثرا بجروحه.³⁵

وربما السبب الأكبر في فشل هذه المقاومات جميعا هو عدم شموليتها كل القطر الوطني، إذ كان الشيوخ يعلنون الجهاد هنا وهناك، دون تنسيق بينهم ودون حشد جميع قواتهم في نفس الوقت والجهاد على جبهات متعددة، وذلك ما أعطى الاحتلال الفرنسي القوة على إفشال وإخماد جميع الانتفاضات، ومن أكبر الأمثلة على ذلك مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري ومقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، رغم أنهم من وطن واحد ولهم غاية واحدة، إلا أنهم لم يقوموا بتوحيد جهودهم واتحادهم في المقاومة، بل حتى إعلان الهدنة مع المستعمر أعطى له فرصة القضاء على الطرفين وليس طرف واحد.

ومن الأسباب أيضا التي يمكن ذكرها في هذا الموضوع، و التي كان لها الوقع والأثر الكبير في إفشال المقاومات الشعبية، هو تفوق فرنسا في العدة والعتاد واستخدامها للأسلحة الحديثة التي لم يعرفها الجزائريون آنذاك، مثل المدافع المتنقلة والبنادق الحديثة الشبه آلية، ومن الأسباب أيضا التي عجلت في فشل المقاومات هو عدم تقدير الأمور والمسائل المرتبطة بالحرب، خاصة مسألة المؤونة والسلاح، ففي معظم الثورات الشعبية كان شيوخها يقومون باندفاع مباشرة، ويمكن القول دون التحضير الجيد أو دراسة الأمر من كل وجوهه، والذي يأتي غالبا بنتائج عكسية، كما أن سياسة التخريب والإبادة المنتهجة من قبل السلطة الفرنسية، أجبرت قادة الثورات على الاستسلام إنقاذاً لنفوس الأبرياء، فقد كان الجيش الفرنسي لا يحفظ لهم إلا ولا ذمة ولا يوفي لهم بعهد.

3. خاتمة:

من خلال عرضنا لهذا الموضوع، المتعلق بمشاركة التيار الصوفي في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر نستخلص مايلي:

- أن التيار الصوفي هو روح الثورات الشعبية في الجنوب الجزائري، إذ أنه شكل ثلثا المقاومين والمجاهدين المشاركين في الثورة.

- كانت مساهمة التيار الصوفي بكل طرق وأنواع المقاومات، العسكرية والثقافية والعلمية، وكان له الفضل الكبير في محاربة سياسة التنصير الفرنسية.

- اكتساب التيار الصوفي لمكانة هامة في الوسط الشعبي الجزائري، بعد المواقف المشرفة التي قام بها، من خلال مقاومته للاستعمار الفرنسي.
- إقرار السلطة الفرنسية بأهمية التيار الصوفي في مجابهة التبشير والتنصير، ودورها في نشر وإحياء الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر .
- أن الشعب الجزائري عربي مسلم يرفض الدنيئة في دينه وعرضه وشرفه، مهما كاد له الكائدون، و كان ولازال مقاوما مجاهدا رغم الظروف ورغم النكبات التي مر بها .

4.الهوامش :

1. الحارث المحاسبي ، رسالة المسترشدين ، تحقيق عبد الفتاح غدة ، ط2 ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، دار السلام، ص:09.
2. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ت المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص:46.
3. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المؤسسة المصرية ، مصر، ج8/ص:440.
4. عبد الرزاق عبد الحميد الأرز، التنصير في إفريقيا ، سلسلة دعوة الحق 'العدد 27، إصدار الإدارة العامة للثقافة والنشر، 2008، ص:13.
5. شيخ لعرج ، موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال ق19 وبداية القرن العشرين، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران 1 "أحمد بن بلة" 2016-2017/ص:103.
6. رمضان بورعدة ، جوانب من تطور السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة (1830-1892)مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع3، جامعة قلمة ، 2009/ص:24.
7. عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ من قبل الإسلام إلى 1962-الجزائر عامة ، دار المعرفة، الجزائر، 2006/ج1/ص:290.
8. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:69.
9. CHarles Andre Julien;Histoire de l'Algerie sontemporaine la conquetes des debut de la colonisation 1827-1871 ;Gsbah .
edition ;Alger ;p67-68.
10. موسى عاشور، أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الأوقاف 1830-1962، أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إيبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2007، ص:215.
11. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962) ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص:73.
12. شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ت:حاج مسعود باكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ج1/ص:554.
13. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945، دار الغرب الاسلامي ، ط1، بيروت، 1998، ج6/ص:81.
14. هوارية بكاي، دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع5 ، جامعة الوادي، جوان 2015، ص : 18 .
15. فوزية لوصيف، الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ، العدد 33 سبتمبر : 2014 ، ص : 08.
16. إبراهيم مياي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص:211.
17. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت 1998، ج6، ص:81.
18. مصطفى خالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1935، ص:117.
19. يحي بوعزيز، كفاح الشعب الجزائري من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 2005، ص :110.

20. هو الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي ابن العربي ابن محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن يوسف ولد بمستغانم في الغرب الجزائري سنة 1787م، أسس الحركة السنوسية توفي سنة 1859م. أنظر محمد علي الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا ص: 239.
21. عبد النور ناجي، البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة التراث العربي، العدد 107، الجزائر 1988، ص: 27.
22. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002، ص: 184.
23. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1992، ص: 156.
24. محمد علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان/ 2009، ص: 41.
25. س. تروملي، الفرنسيون في الصحراء، ت: محمد المعراجي، دار غرناطة، الجزائر، 2013، ص: 82.
26. محمد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير ن القاهرة، مصر، 1959، ص: 164.
27. محمد علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، نفس المرجع، ص: 41.
28. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، المرجع السابق، ج1، ص: 297.
29. إبراهيم العيد بيثي، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع11/جوان 2013، ص: 311.
30. إبراهيم مياي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص32/أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج4/ص: 42.
31. يحي بوعزيز، الطريقة القادرية، مجلة المسالك، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، ع3/1998، ص: 22.
32. إبراهيم مياي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار هومة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 66.
33. عبد القادر خليفي، مقدمة قراءة في الطريقة الشيعية لأبي القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، ع21/ماي 2016، ص: 241.
34. إبراهيم مياي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، المرجع نفسه، ص: 37.
35. يحي بوعزيز، الطريقة القادرية، مجلة المسالك، المرجع نفسه، ص: 18.